(٣٠٧)

هذه القصيدة اسمها «المؤنسة» وهي أطول قصيدة أنشدها وواظب عليها ، قيل إنه كان يحفظها دون أشعاره ، وأنه كان لا يخلو بنفسه إلا وينشدها . وفي الخزانة أنها أشهر قصائده ، وهي طويلة جدا :

تَذكَّرْتُ لَيْلَى والسِّنِينَ الْخوَالِيَا ... وَأَيَّامَ لاَ نَخْشَى على اللَّهْو نَاهِيَا
وَيَوْم كَظِلِّ الرُّمْحِ قَصَّرْتُ ظِلَّهُ ... بِلَيْلَى فَلَهَّانِى وما كُنْتُ لاَهِيَا
بِثَمْدِينَ لاَحَتْ نَارُ لَيْلَى وَصُحْبَتِى ... بِذَاتِ الْغَضَى تُزْجى المَطِىَّ النَّوَاجِيَا
فَقالَ بَصيرُ الْقَوْمِ أَلْمَحْتُ كَوْكَبًا ... بَدَا فِى سَوَادِ اللَّيْلِ فَرْدًا يَمَانِيَا
فَقُلْتُ لَهُ : بَلْ نارُ لَيْلَى تَوَقَّدَتْ ... بِعَلْيَا تَسَامَى ضَوْؤُهَا فَبَدَا لِيَا
فَلَيْتَ رِكابَ الْقَوْمِ لَمْ تَقْطَعِ الْغَضَى ... وَلَيْتَ الْغَضى مَاشَى الرُّكَابَ لَيَالِيَا
فَيَا لَيْلَ كَمْ مِنْ حَاجَةٍ لِى مُهِمَّةٍ ... إذا جِئْتُكُمْ بِاللَّيْلِ لَمْ أَدْرِ مَاهِيَا
خلِيلَىَّ إنْ تبْكِيَانِىَ أَلْتَمِسْ ... خَلِيلاً إذَا أَنْزفْتُ دَمْعِى بَكَى لِيَا

المراجع :

الديوان ، مسالك الأبصار ٩ / ١٣٨ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، الأغانى جـ١ ص٨ ، ٤١٧ وجـ٢ ، ١٠ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ٥٤ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٩٣ ، جـ٤ / ٢٩١ ، ٢٩٢ وجـ٩ ترجمة قيس بن ذريح ، تزيين ٥٩ قضاها لغيرى والقصيدة فى ٦٨ — ٧٠ والزهرة ٢٦ ، ٢٨ ، ٤٠ ، ٢٦٠ ، ٣٠٣ ، ٣٣٢ ، و١٢٢ معاذ ليلى ، ٣١٦ معاذ ليلى وانظر ٢٨٢ السطر ١٤ ، والشعر والشعراء ٣٦٤ ، عيون الأخبار ٤ / ١٣٩ ، محاضرات الأدباء جـ٢ / ١٩ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٣٨ ، ٤٤ ونسب منها لابن الطثرية ٢٢ ، وفى جـ٢ / ٣٠ «١١» جميل ، واللسان ١٧ / ٦٣ « زين » المجنون ، فوات ترجمته السمط ٨٤٢ ، ٩٥٠ ، مصارع العشاق ٢٣٨ ، ذيل الأمالى ١٠٣ الأقرع بن معاذ ، الأمالى ١ / ٢١٥ ، ٢٢١ ، المرزوقى ١٢٥٠ بدون نسبة ، وكذلك ١٣٤٦ ، المستطرف ٢ / ٢١٦ ، الخزانة ٤ / ٢٩٥ ، الكامل ١٦٧ ، الباب ٢٤ ، ديوان المعانى ١ / ٢٨١ .

وأغلب أبيات المؤنسة فى بسط سامع المسامر من ص٨٥ — ٨٩ مع اختلاف وحشو ساقط ونص المؤلف على ركاكته .

فمَـا أُشْرِفُ الْأَيْفَـاعَ إلاَّ صبَابَـةً وَلاَ أُنْشِدُ الْأَشْعَـارَ إلاَّ تَدَاوِيَـا
وَقَـدْ يَجْمَـعُ اللهُ الشتِيتَيْـنِ بَعْدَمَـا يَظُنَّانِ كُـلَّ الظَّـنِّ أَن لاَ تلاَقِيَـا
لحَـى اللهُ أَقْوَامًـا يَقُولُـونَ إِنَّنَـا وَجدْنَا طَوَالَ الدَّهْرِ لِلْحُبِّ شَافِيَا
وَعَهْدِى بلَيْلَى وَهْيَ ذاتُ مُؤَصَّدٍ تَرُدُّ عَلَيْنَـا بِالْـعَشِيِّ المَوَاشِيَـا(١)
فَشَبَّ بنُو لَيْلَى وَشَبَّ بَنُـو ابنِهَـا وَأَعْلاَقُ لَيْلَى فِى فُؤَادِى كَما هِيَا
إِذَا مَـا جَلَسْنَـا مَجْـلِسًا نَسْتَلِــذُّهُ تَـوَاشَوْا بِنَـا حَتَّـى أَمَـلَّ مَكَانِيَـا
سَقَـى اللهُ جَـارَاتٍ لِلَيْلَـى تَبَاعَـدَتْ بِهِنَّ النَّـوَى حَيْثُ احْتَلَلْنَ المطَالِيَا
ولَـمْ يُنْسِنِـى لَيْلَى افْتِقَـارٌ وَلاَ غِنًـى وَلاَ تَوْبَـةٌ حَتَّى احْتَضَنْتُ السَّوَارِيَـا
وَلاَ نِسْوَةٌ صبِّغْـنَ كَبْـدَاءَ جَلْعَــدًا لِتُشْبِهَ لَيْلَـى ثُـمَّ عَرَّضْنَهَـا لِيَـا(٢)
خَلِيلَـيَّ لاَ وَاللهِ لاَ أَمْـلِكُ الَّـذِى قَضَى اللهُ فِى لَيْلَى وَلاَ مَا قضَى لِيَـا
قضَاهَـا لِغَيْـرِى وَابْتَلاَنِـى بِحُبِّهَـا فَهَـلاَّ بشَيْءٍ غَيْـرِ لَيْلَـى ابْتلاَنِيَـا
وَخبَّرْتُمَانِــى أَنَّ تَيْمَــاءَ مَنْــزِلٌ لِلَيْلَى إِذَا مَا الصَّيْـفُ أَلْقَى المَرَاسِيَا
فَهٰذِى شُهُورُ الصَّيْفِ عَنَّا قَدِ انْقضتْ فَمَـا لِلنَّـوَى تَرْمِـى بِلَيْلَـى المَرَامِيَـا
فَلَــوْ أَنَّ وَاشٍ بِالْيَمَامَــةِ دَارُهُ وَدَارِى بأَعْلَى حضْرَ مَوْتَ اهْتَدَى لِيا
وَمَـاذَا لَهُـمْ لاَ أَحْسَنَ اللهُ حَالَهُـمْ مِنَ الحَظِّ فِى تصْرِيـمِ لَيْلَى حبَالِيَـا
وَقَدْ كُنْتُ أَعْلُو حُبَّ لَيْلَى فلَمْ يَـزَلْ بِىَ النَّقْضُ وَالْإِبْـرَامُ حَتَّـى عَلاَنِيَـا
فَيَا رَبِّ سَوِّ الـحُبَّ بَيْنِـى وَبَيْنَهَـا يَكُـونُ كَفَافًـا لاَ عَلَـيَّ وَلاَ لِيَـا
فَمَا طلَعَ النَّجْمُ الَّذِى يُهْتَدَى بِـهِ وَلاَ الصُّبْحُ إِلاَّ هيَّجَا ذِكْرَهـا لِيَـا
وَلاَ سِرْتُ مِيلاً مِنْ دِمَشْقَ وَلاَ بَـدَا سُهَيْـلٌ لِأَهْـلِ الشَّامِ إِلاَّ بَـدا لِيَـا
وَلاَ سُمِّيَتْ عِنْدِى لَهَا مِنْ سَمِيَّـةٍ مِـن النَّـاسِ إِلاَّ بَـلَّ دَمْعـى رِدَائِيَـا
وَلاَ هَبَّتِ الرِّيحُ الجنُوبُ لِأَرْضِهَا مِـنَ اللَّيْـلِ إِلاَّ بِتُّ لِلرِّيـحِ حَانِيَـا
فَـإِنْ تَمْنَعُوا لَيْلَى وَتَحْمُوا بِلاَدَهَـا عَلَـيَّ فَلَـنْ تَحْمُـوا عَلَـيَّ الْقَوَافِيَـا

---

(١) مواصد من الأصدة وهو قميص صغير يلبس تحت الثوب .
(٢) الجلعد : المسنة . والكبداء المرأة الضخمة الوسط .

فَأَشْهَدُ عِنْدَ اللهِ أَنِّى أُحِبُّهَا ... فَهٰذَا لَهَا عِنْدِى فَمَا عِنْدَهَا لِيَا
قَضَى اللهُ بِالْمَعْرُوفِ مِنْهَا لِغَيْرِنَا ... وَبِالشَّوْقِ مِنِّى وَالْغَرَامِ قَضَى لِيَا
وإِنَّ الَّذِى أَمَّلْتُ يَا أُمَّ مَالِكٍ ... أَشَابَ فُوَيْدِى وَاسْتَهَامَ فُؤَادِيا(١)
أَعُدُّ اللَّيَالِى لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ ... وقَدْ عِشْتُ دَهْرًا لاَ أَعُدُّ اللَّيَالِيَا
وأَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الْبُيُوتِ لَعَلَّنِى ... أُحَدِّثُ عَنْكِ النَّفْسَ بِاللَّيْلِ خَالِيَا
أَرَانِى إِذَا صَلَّيْتُ يَمَّمْتُ نَحْوَهَا ... بِوَجْهِى وإِنْ كَانَ الْمُصَلَّى وَرَائِيَا
وَمَا بِىَ إِشْرَاكٌ وَلٰكِنَّ حُبَّهَا ... وَعُظْمَ الجَوَى أَعْيَا الطَّبِيبَ الْمُدَاوِيَا
أُحِب مِن الْأَسْمَاءِ مَا وَافَقَ اسْمَهَا ... أَوَ أَشْبَهَهُ أَوْ كَانَ مِنْهُ مُدَانِيَا
خَلِيلَىَّ لَيْلَى أَكْبَرُ الْحَاجِ وَالْمُنَى ... فَمَنْ لِى بِلَيْلَى أَوْ فَمَنْ ذا لَهَا بِيَا
لَعَمْرِى لقد أَبْكَيْتِنِى يَا حَمَامَةَ الْعَقِيـ ... ـقِ وَأَبْكَيْتِ الْعُيُونَ الْبَوَاكِيَا
خَلِيلَىَّ مَا أَرْجُو مِنَ الْعَيْشِ بَعْدَمَا ... أَرَى حَاجَتِى تُشْرَى وَلاَ تُشْتَرَى لِيَا
وَتُجْرِمُ لَيْلَى ثُمَّ تَزْعُمُ أَنَّنِى ... سَلَوْتُ وَلاَ يَخْفَىٰ عَلَى النَّاسِ مَا بِيَا
فَلَمْ أَرَ مِثْلَيْنَا خَلِيلَىْ صَبَابَةٍ ... أَشَدَّ عَلَى رَغْمِ الْأَعَادِى تَصَافِيَا
خَلِيلاَنِ لاَ نَرْجُو اللِّقَاءَ وَلاَ نَرَى ... خَلِيلَيْنِ إِلاَّ يَرْجُوَان تلاَقِيَا
وَإِنِّى لَأَسْتَحْيِيكِ أَنْ تَعْرِضَ الْمُنَى ... بِوَصْلِكِ أَوْ أَنْ تَعْرِضِى فى الْمُنَى لِيَا
يَقُولُ أُنَاسٌ عَلَّ مَجْنُونَ عَامِرٍ ... يَرُومُ سُلُوًّا قُلْتُ أَنَّى لِمَا بِيَا
بِىَ الْيَأْسُ أَوْ دَاءُ الْهُيَامِ أَصَابَنِى ... فَإِيَّاكَ عَنِّى لاَ يَكُنْ بِك مَا بِيَا
إِذا مَا اسْتَطَالَ الدَّهْرُ يَا أُمَّ مَالِكٍ ... فَشَأْنُ الْمَنَايَا الْقَاضِيَاتِ وَشَانِيَا
إِذا اكْتَحَلَتْ عَيْنِى بِعَيْنِكِ لَمْ تَزَلْ ... بِخَيْرٍ وَجَلَّتْ غَمْرَةً عَنْ فُؤَادِيَا
فَأَنْتِ الَّتِى إِنْ شِئْتِ أَشْقَيْتِ عِيشَتِى ... وَأَنْتِ الَّتِى إِنْ شِئْتِ أَنْعَمْتِ بَالِيَا
وَأَنْتِ الَّتِى مَا مِنْ صَدِيقٍ وَلاَ عِدًا ... يَرَى نِضْوَ مَا أَبْقَيْتِ إِلاَّ رَثَى لِيَا

(١) الفويد تصغير الفود : وهو معظم شعر الرأس .

أمَضْرُوبَةٌ لَيْلَى عَلَى أنْ أزُورَهَا ... وَمُتَّخِذٌ ذَنْبًا لَهَا أنْ تَرَانِيَا
إذَا سِرْتُ فى الْأرْضِ الْفَضَاءِ رَأيْتُنى ... أُصَانِعُ رَحْلِى أنْ يَمِيلَ حِيَالِيَا
يَمِينًا إذا كَانَتْ يَمِينًا وَإنْ تَكُنْ ... شِمَالاً يُنازِعْنِى الهَوَى عَنْ شِمَالِيَا
وَإنِّى لَأسْتَغْشِى وَمَا بِىَ نَعْسَةٌ ... لَعَلَّ خَيَالاً مِنْك يَلْقَى خَيَالِيَا
هِىَ السِّحْرُ إلاَّ أنَّ للسِّحْرِ رُقْيَةً ... وَأنِّى لاَ أُلْفِى لَها الدَّهْرَ رَاقِيَا
إذا نَحْنُ أدْلَجْنَا وَأنْتِ أمَامَنَا ... كَفَا لِمَطَايَانَا بِذِكْرَاك هَادِيَا
ذَكَتْ نارُ شَوْقِى فى فُؤَادِى فأصْبَحَتْ ... لَها وَهَجٌ مُسْتَضْرَمٌ فى فُؤَادِيَا
ألاَ أيُّها الرَّكْبُ الْيَمَانُونَ عَرِّجُوا ... عَلَيْنا فقَدْ أمْسَى هَوَانَا يَمَانِيَا
أُسَائِلكُمْ هَلْ سَالَ نَعْمَانُ بَعْدَنَا ... وَحُبَّ إلَيْنا بَطنُ نَعْمَانَ وَادِيَا
ألاَ يَا حَمَامَىْ بَطْنِ نَعْمَانَ هِجْتُمَا ... عَلَىَّ الهَوَى لمَّا تَغَنَّيْتُمَا لِيَا
وَأبْكَيْتُمَانِى وَسْطَ صَحْبِى وَلَمْ أكُنْ ... أُبَالِى دُمُوعَ الْعَيْنِ لوْ كُنْتُ خَالِيَا
وَيَا أيُّهَا الْقُمْرِيَّتَانِ تَجَاوَبَا ... بِلَحْنَيْكُمَا ثُمَّ اسْجَعَا عَلّانِيَا
فَإنْ أنْتُمَا اسْتطْرَبْتُمَا أوْ أرَدْتُمَا ... لَحَاقًا بأطْلاَلِ الْغَضَى فاتْبَعَانِيَا
ألاَ لَيْتَ شِعْرِى مَا لِلَيْلَى وَمَالِيَا ... وَمَا لِلصِّبَا مِنْ بَعْدِ شَيْبٍ عَلاَنِيَا
ألاَ أيُّهَا الْوَاشِى بِلَيْلَى ألاَ تَرَى ... إلَى مَنْ تَشِيهَا أوْ بِمَنْ جِئْتُ وَاشِيَا
لِئِنْ ظَعَنَ الْأحْبَابُ يَا أُمَّ مَالِكٍ ... فمَا ظَعَنَ الْحُبُّ الَّذِى فى فُؤَادِيَا
فَيَا رَبِّ إذْ صَيَّرتَ لَيْلَى هِىَ المُنى ... فَزِنِّى بِعَيْنَيْهَا كَمَا زِنْتَهَا لِيَا
وَإلاَّ فَبَغِّضْهَا إلَىَّ وَأهْلَهَا ... فَإنِّى بلَيْلَى قَدْ لَقِيتُ الدَّوَاهِيَا
عَلَى مِثْلِ لَيْلَى يَقْتُلُ المَرْءُ نَفْسَهُ ... وَإنْ كُنْتُ مِنْ لَيْلَى عَلَى الْيَأْسِ طاوِيَا
خَلِيلَىَّ إنْ ضَنُّوا بِلَيْلَى فقَرِّبَا ... لِىَ النَّعْشَ وَالْأكْفانَ وَاسْتَغْفِرَا لِيَا